البيان للمراد بالتغني بالقرآن

للعلامة المحقق والفاضل المدقق فريد عصره

الشيخ سيدي محمد بن يوسف التونسي

الشهير بالطائي

أدام الله به النفع وأبقاه

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٥٩ هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٠ م

البيان للمراد بالتغني بالقرآن

للعلامة المحقق والفاضل المدقق فريد عصره

الشيخ سيدي محمد بن يوسف التونسي

الشهير بالطافي

أدام الله به النفع وأبقاه

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٥٩ هـ مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٠ م

وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الحمد لله مبدع الاكوان ، الذي علم ما يكون وما كان ، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان ، الذي لم يرد ظاهر قوله زينوا بأصواتكم القرآن . وإنما أراد زينوا أصواتكم بالقرآن . وعلى آله وأصحابه المحافظين على حسن أداء القرآن وعلى من اقتفى أثرهم في ذلك الشان . أما بعد فيقول محمد بن يوسف التونسي المعروف بالكافي إني قدمت من تونس إلى بيروت في جمادى الأولى سنة التاريخ فقدم إلي الفاضل الشيخ توفيق الهبري رئيس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية مقالاً لأحد أعضاء جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية وهو الفاضل الأستاذ محمد سعدي ياسين وطلب مني أن أنظر في مقال الأستاذ المذكور أهو موافق لما عليه الراسخون في العلم من يعول على تأويلهم للكتاب العزيز والسنة المطهرة . فتأملته فوجدته مخالفاً لما استقر عليه عمل المحققين من القراء وغيرهم لأن الاستاذ أخذ بظاهر بعض المروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم ولم يستوعب ما قاله الراسخون في ذلك . ثم إني أنقل مقاله بالحرف وألاحظ على بعضه وغالب نقلي من الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي رحمه الله تعالى وسميت ما أكتبه (البيان للمراد من التغني بالقرآن) وبالله أستعين .

نص المقال

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأفاضل رئيس وأعضاء جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية الأجلاء عصمنا الله وإياهم من الخطل وجنبنا وجنبهم الزلل . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد نمي إلينا أن مدارسكم سلكت في تلاوة كتاب الله غير طريق التغني والترنم به الذي حض عليه النبي ﷺ وسألنا غير واحد أن ننشر رأينا واستفتانا آخرون فلم نعرج على شيء قبل أن نتذاكر معكم ونكتب إليكم فإن يكن الحق في جانبكم نزلنا على حكمكم وسرنا في طريقكم وإن كان الحق قبلنا عدتم إلى ما كان عليه ﷺ وسلف هذه الأمة وجماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ومن المعلوم أن قراءة التغني تساعد على المضي والاسترسال ومما يدل على هذا أن التغني الذي أذن به الشارع

مما نصبوا إليه النفس ويرتاح إليه الروح بل على هـذا طبع الله عباده فإننـا نشاهد كثيراً من العمال الذين يقومون بالفادح من الاعمال نشاهدهم يتغنون ويترنمون أثناء عملهم فينتقلون بترنمهم إلى عالم آخر من عوالم اللذة الروحية والنعيم النفسي فيغيبون عن أجسامهم المتعبة التي تغدو كآلة العمل التي تعمل ولا تتعب والتغني بالتلاوة مما يزيد في خشوع القاريء والسامع بخلاف ما إذا كانت التلاوة بصورة خطابية تمثيلية لا فرق فيها حينئـذ بين كتاب الله وكتب القراءة وقد سمعنا في مجلس واحد قارئين أحدهما قرأ من غير تغن ولا تطريب أي على الشكل التمثيلي والآخر قرأ متغنياً محسناً صوته كما يحب الله ورسوله فكان لهذا من التأثير في نفوسنا ما ليس لذاك وها نحن أولاً بادئون بالمروي من هذا عن رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ونثني بالمنقول عن الصحابة والتابعين الصحابة الذين نزل القرآن بلغتهم وفهموا عن ربهم وشافهوا وشاهدوا رسوله وأخذوا عنه ثم نعزز ذلك بمذاهب أئمة الهدى المهديين . فأما المروي عن رسول الله ﷺ فقد تجاوز جمع القلة وهاكم الاحاديث الصحيحة والحسنة . ١ — اخرج ابن ماجة وابن حبان والبيهقي عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال (لله اشـد اذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينـة إلى قينته) ٢ - اخرج مسلم والإمام

أحمد في مسنده والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (زينوا القرآن باصواتكم) ٣ — واخرج الدارمي ومحمد بن نصر في كتاب الصلاة عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (حسنوا القرآن باصواتكم فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا) ٤ - واخرج الطبراني في الكبير عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال (حسن الصوت زينة القرآن) ٥ - واخرج البخاري ومسلم وأحمد وابو داود والنسائي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به) ٦ — وروى البخاري عن ابي هريرة وابو داود وابن حبان والحاكم عن عائشة ان رسول الله ﷺ قال (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) وأورد ابو القاسم البغوي بزيادة عن السائب قال قال لي سعد يا ابن اخي هل قرأت القرآن قلت نعم قال غن به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول (غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكوا) ثم اليس في قوله ﷺ وبأبي هو وأمي ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس منا من لم يغن بالقرآن ما يردع عن ترك التغني بالقرآن . ٧ - وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري قال قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم يا أبا موسى

لو رأيتني وأنا استمع قراءتك البارحة قلت اما والله لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا وفي رواية للبخاري ولمسلم أيضا واللفظ للبخاري قال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى يا أبا موسى لقد اوتيت مزماراً من مزامير آل داود قال الحافظ ابن كثير في مقدمة تفسيره وفي كتاب فضائل القرآن بعد أن أورد حديث أبي موسى هذا قال والغرض أن أبا موسى قال لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه وقد كان أبو موسى كما قال عليه الصلاة السلام اعطى صوتاً حسنا فدل على ان هذا من الأمور الشرعية ٨ - أخرج ابن ماجة عن عائشة (رضي) قالت ابطأت على رسول الله ﷺ ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال أين كنت قالت كنت اسمع قراءة رجل من أصحابك لم اسمع مثل قراءته وصوته من احد قال فقام فقمت معه حتى استمع له ثم التفت إلي فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا . اسناده جيد وفيما أوردنا من الأحاديث كفاية فلنقتصر عليه كيلا نملكم واما الصحابة فكل رواة هذه الأحاديث أحاديث تحسين الصوت والتغني اذ هو مذهبهم وهم الناقلون له وكذلك من روى عنهم من التابعين أو تتلمذ لهم وإليك نموذجاً من ذلك . اخرج ابن أبي داود وأبو نعيم في الحلية والحافظ ابن كثير في فضائل القرآن عن أبي عثمان النهدي التابعي الجليل قال كان أبو موسى الأشعري

يصلي بنا فما سمعت صوت صنج قط ولا بربط قط ولا ناي قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته وعند أبي داود قال عبد الجبار بن الورد راوي حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن عن ابن أبي مليكة قال قلت لابن ابي مليكة يا أبا محمد ارأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع فان قال قائل إن الأحاديث التي أوردتموها لا اعتراض لنا عليها لأن أكثرها صحيح وأقلها حسن وإنما اعتراضنا على ما فهمتم من الأحاديث لأنكم فسرتم التغني بالغناء وإنما هو الاستغناء بالقرآن عن الدنيا فنقول الا فاعلم رحمك الله أن الإمام الشافعي رحمه الله رد هذا الرأي فعند الطبري عن الشافعي أنه سئل عن تأويل ابن عيينة التغني بالاستغناء فلم يرتضه وقال لو اراد الاستغناء لقال لم يستغن وإنما أراد تحسين الصوت من الفتح ج ٩ ص ٥٧ وقال الحافظ ابن كثير قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغنى به فقال الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى وإنما يتحزن ويترنم به وقال ابن كثير أيضا والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير تقي الدين بن مخلد فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم إنما فهموا من التغني تحسين الصوت وتحزينه كما قال الائمة رحمهم الله ويدل عليه حديث (زينوا القرآن باصواتكم) الذي أوردناه وهذا مذهب ابن أبي مليكة وعبد الله بن المبارك والنضر بن شميل وان قال

قائل فهم السلف من التغني الجهر لا الترنم ولا سيما والجهر مصرح به في حديث ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به وهو أصح شيء في هذا الباب ويشهد له حديث لله أشد أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته فنقول لو كان المراد بالتغني بالجهر لا كتفى ﷺ باحدهما عن الآخر فاما وقد أتى ﷺ بهما معاً فدل على أن المراد بالتغني التطريب والترنم مع رفع الصوت به لان التغني مع الأسرار لا معنى له وهكذا فسره سيدنا أبو هريرة كما هو عند ابي داود والطحاوي قال هو حسن الترنم بالقرآن والراوي أعلم بما روى وقال ابن جرير الطبري والترنم لا يكون الا بالصوت اذا حسنه القاريء وطرب به وقد قال السيد الامام محمد رشيد رضا رحمه الله من تعليق له على كتاب فضائل القرآن للحافظ ابن كثير قال والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحمودة شرعاً هي ما تكون القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعاً في القلب واعتباراً في العقل وان المحظور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النغم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب وما من احد سمع قراءة المجودين أولي الأصوات الحسنة الا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه فقراءتهم الى أن قال رحمه الله وإننا كثيراً ما رأينا بعض

أدباء النصاري يرغبون في سماع القرآن من القراء المجودين ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب ويؤيد ما قاله علامتنا الأكبر إن مجلة كل شيء والدنيا التي تصدرها دار الهلال النصرانية قالت في عددها الرابع والخمسين بعد الخمسمئة الصادر في ٢٧ ربيع الأول من سنة ١٣٥٥ لا تكاد تقترب الساعة التاسعة من مساء يومي الجمعة والثلاثاء من كل اسبوع حتى تغض المقاهي بروادها وتجتمع الناس حول جهاز الراديو في البيت والشارع والكل مرهف أذنيه في خشوع لسماع تلاوة القرآن الكريم من المقري النابغة محمد رفعة الذي نحدث عنه في هذا المقال الخ وانما يقرأ الشيخ محمد رفعة بالنغم الذي منعتموه في مدارسكم ولا نشك ولا نظن أنه يشك أحد فيما نتركه قراءة الشيخ محمد رفعة من الخشوع في القلب والأثر في النفس وقال الحافظ الكبير أحمد بن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري الذي شرح به صحيح البخاري وأما حسن الصوت بالقرآن فمطلوب ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان خرج حتى زاد حرفاً أو أخفاه حرم قال واما القراءة بالألحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهيته وقال في موضع آخر لا بأس به فقال اصحابه ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فان لم يخرج بالألحان عن المنهج جاز والا حرم وقال بن حجر أيضاً وقال الغزالي والسندجي

من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية ان لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب والا فلا الى أن قال رحمه الله والذي يتحصل من الأدلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن ابي مليكة أحد رواة الحديث وأما قول إن مراعاة الموسيقى والنغم لا تجوز أو إنها تنزع من القرآن بهاءه أو إنها تحول دون تدبره او تأثيره في القلوب فمدفوع بالأحاديث الصحيحة الكثيرة كحديث زينوا القرآن باصواتكم ، وحسنوا القرآن باصواتكم ، وحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث زينة القرآن الصوت الحسن ، وحديث لله أشد أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته فانت ترى أن الأحاديث كثيرة ولا حاجة الى تأويلها وليس للتغني بالقرآن أقل دخل في منع تدبره وانما يتوقف تدبره على فهمه وحضور القلب لدى قراءته فمن كان فاهماً معنى مدهامتان ونضاختان مثلاً أمكن له أن يتدبرهما وان يفهمهما بنغم وبغير نغم ومثلكم من ينصف . واليكم ما قاله الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري قاموس السنة المحمدية والذي ما شرح البخاري بمثله والذي قال فيه العلماء لا هجرة بعد الفتح . قال رحمه الله تعالى في صحيفة ٥٨ من الجزء التاسع من الفتح ومن

جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم فان الحسن الصوت يزداد حسناً بذلك وان خرج عن شرط الأداء لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء فهذه كلمتنا في هذا الشأن ونحن نكل الامر لإنصافكم ودينكم واخلاصكم فاننا نرجع من هذا الى ركن ركين وملجإ أمين اذ انكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه وانكم ممن يدعون ما يحبون لما يحبه الله ورسوله وتجدوننا بانتظار جوابكم على هذا الكتاب ان شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عضو جمعية مكارم الأخلاق الاسلامية

محمد سعدي ياسين

(أقول) قبل ملاحظتي على مقال الأستاذ اقدم تنبيهات يسترشد بها من يريد الحق ويذعن له اذا تبين (الاول) ان حسن الصوت محبوب لكل ذي حياة عاقلاً كان أو غير عاقل وهذا مما لا خلاف فيه (الثاني) ن الأنغام والألحان تزيد لحسن الصوت حسناً وطلاوة وبهاء لمن له ذوق سليم حتى قال العلامة الأمير من لم تحركه الأنغام فحكمه حكم الجماد (الثالث) اذا ورد الامر والنهي على شيء واحد كقوله عليه الصلاة والسلام اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وتراً ، وقال عليه السلام لا وتران في ليلة قدم مقتضى النهي . فمن أوتر أول الليل وتهجد آخره فلا يختم تهجده

بوتر (الرابع) اذا طرق الدليل احتمال فيقتضي خلاف المدلول سقط الاستدلال به وطولب بدليل آخر سالم من الخدش فان أتى به تمت دعواه والا سقطت (الخامس) اذا ذكر السلف من الصحابة والتابعين وتابع التابعين حكم شيئ واستحسن المتأخرون خلاف ما ذكره السلف ألغي استحسان المتأخرين لان المظنون أن تابع التابعين تلقاه من التابعين وأن التابعين تلقوه من الصحابة وان الصحابة تلقوه من النبي ﷺ (السادس) اذا اختلف في معنى لفظ مفرد فالحق مع من شهدت له اللغة خصوصاً اذا عضد بنقل كما يأتي في معنى التغني ان شاء الله تعالى (قول الأستاذ) وبعد إلى قوله حض عليه النبي ﷺ (يقال له) بل النبي ﷺ نهى عن الترنم كما يأتي في نقل العلامة القرطبي (قوله) فان يكن الحق في جانبكم الى قوله عدتم إلى ما كان عليه ﷺ وسلف هذه الأمة (يقال له) ان النبي ﷺ وسلف هذه الأمة لم يكونوا على ماتدعيه من قراءة القرآن بالتغني أي الترنم والتمطيط بل كان عليه السلام وكانوا رضي الله عنهم ينهون عن ذلك كما يأتي في نقل العلامة القرطبي (قوله) ان التغني الذي أذن به الشارع الى قوله الروح (يقال له) ان الشارع نهى عن التغني بمعنى الترنم ولم يأذن فيه البتة وانما انت اخذت بظاهر المروي ولم تحقق المناط فيه فيقال لك

ما أنت باول سار غره القمر (قوله) بل على هذا طبع الله عباده الى قوله ولا تتعب (يقال له) هذا خارج عن موضوع البحث وهو جواز قراءة القرآن بالتغني والترنم وعدم الجواز لان ما ذكرتم أمر طبيعي كما تقدم في التنبيهات ولا يستفاد منه حكم الموضوع (قوله) والتغني بالتلاوة الى قوله وكتب القراءة (يقال له) ان القرآن اذا تلي مجوداً باقامة أحكامه المقررة عند القراء يحدث خشوعاً في القلب وتسكن اليه النفس ويذهب حزن المحزون بدون ترنم وتمطيط . واما الترنم والتمطيط فتميل إليهما النفس طبعاً حصلا في القرآن أو غيره بلا فرق والمدار في هذا الموضوع على النقل ، والنقل الثابت منع الترنم بالقرآن كما يأتي للعلامة القرطبي (قوله) وقد سمعنا في مجلس واحد قارئين إلى قوله ماليس لذاك (يقال له) خشوعك لسماعك الاول دون الثاني انما نشأ من النغم لامن القرآن ولو كان من القرآن لخشع من الاثنين لان كلاً منهما تال لكتاب الله (قوله) وهانحن اولابادئون بالمروي عن رسول الله ﷺ الذي لاينطق عن الهوى (يقال له) ان المروي عن رسول الله ﷺ صرفه الراسخون في العلم عن ظاهره لوجود النهي منه عليه السلام عن الترنم في الآذان فضلاً عن القرآن كما يأتي في نقل العلامة القرطبي (قوله) ونثني بالمنقول عن الصحابة والتابعين (يقال له) لم تنقل عن الصحابة

جواز قراءة القرآن بالتغني والترنم والمنقول عنهم منع ذلك كما يأتي في نقل العلامة القرطبي (قوله) والتـابعين (يقال له) قال بذلك بعضهم والبعض منع وهو المصيب كما يأتي (قوله) ثم نعزز ذلك بمذاهب أئمـة الهدى المهتدين (يقال له) لا يمكن تعزيز ما نهى الشارع ﷺ عنه) كما يأتي (قوله) فأما المروي عن رسول الله ﷺ فقد تجاوز جمع القلة (يقال له) هو مصروف عن ظاهره ويأتي الكلام عليه في نقل العلامة القرطبي وبنقله نستغني عن التكلم عليه هنا (قوله) ثم أليس في قوله ﷺ وبأبي هو وأمي ليس منا من لم يتغن بالقرآن وليس منا من لم يغن بالقرآن ما يردع عن ترك التغني بالقرآن (يقال له) لو كان التغني في الحديثين بمعنى الترنم والتمطيط لكان كافياً في الردع عن ترك التغني والترنم ولكن التغني في الحديثين ليس معناه الترنم كما فهمت أنت لوجود النهي منه ﷺ عن الترنم في الآذان فضلاً عن القرآن كما يأتي ان شاء الله تعالى فتارك الترنم بالقرآن متبع والمترنم به مبتدع لمخالفته النهي عن ذلك (قوله) وفيما أوردناه من الأحاديث كفاية فلنقتصر عليـه كيلا نملكم (يقال له) هي كفاية بحسب زعمكم واما الواقع فانهـا لا تفيدكم شيئاً كما يأتي التكلم عليها ان شاء الله تعالى (قوله) واما الصحابة الى قوله أو تتلمذ لهم (يقال له) لا يلزم من راوي الحديث

أن يكون آخذاً بمقتضاه وهذا كثير وقوعه من الرواة والذي يخلصك يا أستاذ من الورطة التي تورطتها النقل الصريح عن النبي ﷺ وعن الصحابة وعن التابعين إنهم يقولون بجواز قراءة القرآن بالترنم الذي هو من شعار المغنين فان اثبت ذلك فلك الشكر الجميل والثناء الحسن وما أظن أن تستطيع ذلك (قوله) واليك نموذجاً من ذلك أخرج ابن ابي داود وأبو نعيم في الحلية والحافظ ابن كثير في فضائل القرآن عن أبي عثمان النهدي التابعي الجليل قال كان أبو موسى الأشعري يصلي بنا فما سمعت صوت صنج قط ولا بربط قط ولا ناي قط ولا شيئاً قط أحسن من صوته (يقال له) هذا معلوم له من شهادة الرسول له بانه أعطي مزماراً من مزامير آل داود ولكن هل يمكنك أن تثبت لنا أنه كان يقرأ بالنغم الموسيقى المنهى عنه شرعاً كلا كلا (قوله) فان قال قائل ان الأحاديث التي أوردتموها لا اعتراض لنا عليها لان اكثرها صحيح وأقلها حسن وإنما اعتراضنا على ما فهمتم من الأحاديث لانكم فسرتم التغني بالغناء وإنما هو الاستغناء بالقرآن عن الدنيا (فنقول) ألا فاعلم رحمك الله أن الامام الشافعي رد هذا الرأي فعند الطبري عن الشافعي أنه سئل عن تأويل ابن عيينة التغني بالاستغناء فلم يرتضه وقال لو أراد الاستغناء لقال لم يستغن وانما أراد تحسين الصوت

(يقال له) لم اخترت تأويل الشافعي عن تأويل ابن عيينة مع أنه لم ينقص في درجة العلم عن الشافعي و كان الامام يحيى بن معين يقدمه على الامام مالك بن انس وان عارضة الامام احمد بن حنبل في ذلك ويأتي في نقل الامام القرطبي انه أعلم بتأويل سنة رسول الله ﷺ واللغة تساعده في تفسير التغنى بالاستغناء كما في الصحاح وغيره من كتب اللغة قال في القاموس وتغنت المرأة بزوجها غُنياناً استغنت قال في مختار الصحاح وغنيت المرأة بزوجها غنياناً بالضم استغنت ويؤيد تفسير ابن عيينة رحمه الله تعالى التغني بالاستغناء النهي الوارد عن الترنم والتمطيط في القراءة والآذان فأنت يا أستاذ مؤاخذ بتفسيرك التغني بالغناء لترجيح جانب من فسر التغني بالاستغناء لغة وشرعاً (قوله) وقال الحافظ ابن كثير قال حرملة إلى قوله تقي الدين بن مخلد (تقدم رده) ويأتي رده أيضاً في نقل العلامة القرطبي (قوله) فقد فهم من هذا الى قوله ابن شميل (يأتى رده أيضاً) (قوله) وان قال قائل فهم السلف من التغني الجهر لا الترنم ولاسيما والجهر مصرح به في حديث ما أذن الله لشيء ما اذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به وهو أصح شيء في هذا الباب . ويشهد له حديث : لله أشد أذناً الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القينة الى قينته . فنقول لو كان المراد بالتغني

فدل على أن المراد بالتغني التطريب والترنم مع رفع الصوت به (يقال للأستاذ) اعتراضك بتفسير السلف للتغني بالقرآن الجهر به ومخالفتك لهم في تفسيرك التغني بالغناء مما يوجب الخجل حيث أثبت لنفسك العلم بمعنى التغني في الحديث الشريف والجهل بمعناه للسلف الصالح يا للعجب منك يا أستاذ على أن التالي من شرطيتك ممنوع وسند المنع بدل الجهر من التغن خوف تفسير التغن بالغناء كما فسرته أنت (قوله) وقال ابن جرير الطبري والترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسنه القاري وطرب به (يقال له) التطريب بالقرآن ممنوع كما مر وكما يأتي في كلام الامام القرطبي (قوله) وقد قال السيد الإمام رشيد رضا إلى قوله قزاءة الشيخ محمد رفعة من الخشوع في القلب والأثر في النفس (يقال له) الترنم والتطريب بالصوت مما ترضاهما النفس وتميل إليهما بلانزاع في ذلك حصلا بالقرآن أو بغيره ولكن هل يجوز استعمالهما في القرآن (الجواب) لا يجوز استعمالهما فيه لثبوت النهي عن استعمالهما فيه شرعاً ولا عبرة بقول من يجوز ذلك لأن قوله مصادم لنهي الشارع (قوله) وقال الحافظ الكبير أحمد بن حجر العسقلاني إلى قوله إن لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب (يقال له) لا استحباب في التمطيط أفرط فيه أم لا لوجود النهي عن أصل الترنم والتمطيط في القرآن (قوله) وأما قول إن مراعاة الموسيقى والنغم لا تجوز او إنها

تنزع من القرآن بهاءه أو إنها تحول دون تدبره أو تأثيره في القلوب فمدفوع بالأحاديث الصحيحة الكثيرة (يقال له) قولك فمدفوع هو مدفوع بأمرين الأول إن الأحاديث التي ذكرتها ليس فيها مايدل على جواز استعمال الألحان الموسيقى في القرآن عظيم الشان والثاني إن الترنم بالقرآن يذهب تدبره قطعاً لأن النفس تميل إلى الإنبساط بالترنم دون التدبر وهذا معلوم عند كل منصف وفيما ذكرته كفاية لمن تمعن فيه تاركاً التكلف والتعصب وراء ظهره وإنما يأخذ بقوله ﷺ الحكمة ضالة المسلم أو المؤمن يلتقطها حيث وجدها . وإليك ما ذكره العلامة القرطبي في هذا الموضوع قال رحمه الله تعالى (باب كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم واختلاف الناس في ذلك) .

روى البخاري عن قتادة قال سألت أنساً عن قراءة رسول الله ﷺ فقال كان يمد مداً إذا قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم . وروى الترمذي عن ام سلمة قالت كان رسول الله ﷺ يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقرأ مالك يوم الدين قال حديث غريب وأخرجه أبو داود بنحوه وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى الله تعالى وروي عن زياد النميري إنه جاء مع القراء إلى أنس بن مالك فقيل له اقرأ فرفع صوته وطرب

وكان رفيع الصوت فكشف أنس عن وجهه وكان على وجهه خرقة سوداء فقال يا هذا ما هكذا كانوا يفعلون وكان إذا رأى شيئاً ينكره كشف الخرقة عن وجهه وروي عن قيس بن عباد إنه قال كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر وممن روي عنه كراهة رفع الصوت عند قراءة القرآن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والقاسم بن محمد والحسن وابن سيرين والنخعي وغيرهم وكرهه مالك بن أنس وأحمد بن حنبل كلهم كره رفع الصوت بالقرآن والتطريب فيه وروي عن سعيد بن المسيب أنه سمع عمر بن عبد العزيز يؤم الناس فطرب في قراءته فأرسل إليه سعيد يقول أصلحك الله إن الأئمة لا تقرأ هكذا فترك عمر التطريب وروي عن القاسم بن محمد أن رجلاً قرأ في مسجد النبي ﷺ فطرب فأنكر ذلك القاسم وقال يقول الله عز وجل (وإنهُ لكتابٌ عزيزٌ لا يأتيهِ الباطلُ منْ بينِ يدَيهِ ولا منْ خلفهِ) الآية وروي عن مالك عن النبر في قراءة القرآن في الصلاة فأنكر ذلك وكرهه كراهة شديدة وانكر رفع الصوت به وروى ابن القاسم عنه سئل عن الألحان في الصلاة فقال لا يعجبني وقال إنما هي غناء يتغنون به ليأخذوا عليه الدراهم وأجازت طائفة رفع الصوت بالقرآن والتطريب به وذلك لأنه إذا أحسن الصوت به كان أوقع في النفوس وأسمع في القلوب واحتجوا بقوله عليه السلام (زينوا القرآن

بأصواتكم) رواه البراء بن عازب أخرجه أبو داود والنسائي وبقوله عليه السلام ليس منا من لم يتغن بالقرآن أخرجه مسلم وبقول أبي موسى للنبي ﷺ لو أعلم أنك تسمع لقراءتي لحبرته لك تحبيرا وبما رواه عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله ﷺ عام الفتح في مسير له سورة الفتح على راحلته فرجع في قراءته وممن ذهب إلى هذا أبو حنيفة وأصحابه والشافعي وابن المبارك والنضر بن شميل وهو اختيار أبي جعفر الطبري وأبي الحسن بن بطال والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم قلت القول الأول أصح لما ذكرناه وياتي وأما ما احتجوا به من الحديث الأول فليس على ظاهره وإنما هو من باب المقلوب أي زينوا أصواتكم بالقرآن قال الخطابي وكذا فسره غير واحد من أئمة الحديث زينوا أصواتكم بالقرآن وقالوا هو من باب المقلوب كما قالوا عرضت الحوض على الناقة وإنما هو عرضت الناقة على الحوض ورواه معمر عن منصور عن طلحة فقدم الأصوات على القرآن وهو الصحيح قال الخطابي ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ان رسول الله ﷺ قال زينوا القرآن بأصواتكم أي اهجوا بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعاراً وزينة وقيل معناه الحض على قراءة القرآن والدءوب عليه وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول زينوا أصواتكم بالقرآن وروي عن عمر

إنه قال حسنوا أصواتكم بالقرآن قلت وإلى هذا المعنى يرجع قوله عليه السلام ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن أي ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن كذلك تاوله عبد الله بن أبي مليكة قال عبد الجبار بن الورد سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبد الله بن أبي يزيد مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فإذا رجل رث الهيئة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت قال يحسنه ما استطاع ذكره أبو داود وإليه يرجع أيضاً قول أبي موسى للنبي ﷺ إني لو علمت أنك تسمع لقراءتي لحسنت صوتي بالقرآن وزينته ورتلته وهذا يدل إنه كان يمد في قراءته مع حسن صوته الذي جبل عليه والتحبير التزيين والتحسين فلو علم أن النبي ﷺ كان يسمعه لمد في قراءته ورتلها كما كان يقرأ على النبي ﷺ فيكون ذلك زيادة في حسن صوته بالقراءة ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله ﷺ أن يقول إن القرآن يزين بالأصوات أو بغيرها فمن تأول هذا فقد واقع امرا عظيماً أن يحوج القرآن إلى من يزينه وهو النور والضياء والزين الأعلى لمن ألبس بهجته واستنار بضيائه وقد قيل ان الأمر بالتزيين اكتساب القراآت وتزينها بأصواتنا وتقدير ذلك أي زينوا القراءة بأصواتكم فيكون القرآن بمعنى القراءة كما قال

تعالى (وقرءان الفجر) أي قراءة الفجر وقوله (فإذا قرأناه فاتبع قرءانه) أي قرءانه وكما جاء في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال إن في البحر شياطين مسجونة وثقها سليمان عليه السلام ويوشك أن تخرج فتقرأ على الناس قرءاناً أي قراءة وقال الشاعر في عثمان رضي الله عنه

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

أي قراءة فيكون معناه على هذا التأويل صحيحاً إلا أن يخرج القراءة التي هي التلاوة على حدها على ما نبينه فيمتنع وقد قيل إن معنى يتغنى به يستغني به من الاستغناء الذي هو ضد الافتقار لا من الغناء يقال تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت وفي الصحاح تغني الرجل بمعنى استغنى وأغناه الله وتغانوا أي استغنى بعضهم عن بعض قال المغيرة ابن حبناء التميمي

كلانا غنيٌ عن أخيه حياته ونحن إذا متنا أشد تغانيا

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة ووكيع بن الجراح ورواه سفيان عن سعد بن ابي وقاص وقد روى عن سفيان أيضاً وجه آخر ذكره اسحاق بن راهويه أي يستغني به عما سواه من الأحاديث وإلى هذا التأويل ذهب البخاري محمد بن اسماعيل لاتباعه الترجمة بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) والمراد الاستغناء بالقرآن عن علم أخبار الأمم قاله أهل التأويل وقيل

ان معنى يتغنى به يتحزن به أي يظهر على قارئه الحزن الذي هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال يتغانى به ولم يقل يتغنى به وذهب إلى هذا جماعة من العلماء منهم الامام أبو محمد بن حبان البستي واحتجوا بما رواه مطرف ابن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولصدره ازيز كازيز المرجل من البكاء الازيز بزايين صوت الرعد وغليان القدر قالوا ففي هذا الخبر بيان واضح على ان المراد بالحديث التحزن وعضدوا هذا أيضاً بما رواه الأئمة عن عبدالله قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ علي فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا بلغت (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) فنظرت إليه فإذا عيناه تدمعان فهذه أربعة تأويلات ليس فيها مايدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها وقال أبو سعيد ابن الأعرابيّ في قوله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من لم يتغن بالقرآن) قال كانت العرب تولع بالغناء والنشيد في أكثر أقوالها فلما نزل القرآن أحبوا أن يكون القرآن هجيراهم مكان الغناء فقال ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن . التأويل الخامس ماتأوله من استدل به على الترجيع والتطريب فذكر عمر بن شبّة قال ذكرت لابي عاصم النبيل تأويل ابن عيينة في يتغنّ يستغني فقال لم يصنع ابن عيينة شيئاً

وسئل الشافعي عن تأويل ابن عيينة فقال نحن أعلم بهذا لو أراد النبي صلى الله عليه وسلم الاستغناء لقال من لم يستغن ولكن لما قال يتغنّ علمنا أنه أراد التغني قال الطبري المعروف عندنا في كلام العرب إن التغني إنما هو الغناء الذي هو حسن الصوت بالترجيع وقال الشاعر

تغنّ بالشعر مهما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

قال وأما ادعاء الزاعم إن تغنيت بمعنى استغنيت فليس في كلام العرب وأشعارها ولا نعلم أحداً من أهل العلم قاله وأما احتجاجه بقول الأعشى

وكنت امرءا زمناً بالعراق خفيف المناخ طويل التغنّ

وزعم أنه أراد الاستغناء فإنه غلط منه وإنما عنى الأعشى في هذا الموضع الاقامة من قول العرب غنى فلان بمكان كذا أي أقام ومنه قوله تعالى (كأن لم يغنوا فيها) (وأما استشهاده بقوله): ونحن إذا متنا أشد تغانيا) فانه اغفال منه وذلك ان التغاني تفاعل من نفسين إذا استغنى كل واحد منهما عن صاحبه كما يقال تضارب الرجلان إذا ضرب كل واحد منهما صاحبه ومن قال في فعل الاثنين لم يجز أن يقول مثله في الواحد غير جائز أن تقال تغاني زيد وتضارب عمرو وكذلك غير جائز أن يقال تغنى بمعنى استغنى قلت ما ادعاه الطبري من أنه لم يرد في كلام العرب تغنى بمعنى استغنى فقد ذكره الجوهري كما ذكرنا وذكره الهروي أيضاً وأما قوله ان صيغة فاعل

إنما تكون من اثنين فقد جاءت من واحد في مواضع كثيرة منها قول ابن عمر وأنا يومئذ ناهزت الاحتلام وتقول العرب طارقت النعل وعاقبت اللص وداويت العليل وهو كثير فيكون تغاني منها وإذا احتمل قوله عليه الصلاة والسلام يتغنى الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر بل حمله على الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره لأنه مروي عن صحابي كبير كما ذكره سفيان وقد قال ابن وهب في حق سفيان ما رأيت أعلم بتأويل الأحاديث من سفيان بن عيينة ومعلوم أنه رأى الشافعي وعاصره (وتأويل سادس) وهو ما جاء من الزيادة في صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ما أذن الله لشيء أذنه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به قال الطبري ولو كان كما قال ابن عيينة لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى قلنا قوله يجهر به لا يخلو أن يكون من قول النبي صلى الله عليه وسلم أو من قول أبي هريرة أو غيره فإن كان من الأول وفيه بعد فهو دليل على عدم التطريب والترجيع لأنه لم يقل يطرب به وإنما قال يجهر به أي يسمع نفسه ومن يليه بدليل قوله عليه السلام الذي سمعه وقد رفع صوته بالتهليل (ايها الناس اربعوا على أنفسكم فانكم لستم تدعون اصم ولاغائبا) الحديث وسيأتي وكذلك ان كان من صحابي أو غيره فلا حجة فيه على

ما راموه وقد اختار هذا التاويل بعض علمائنا فقال وهذا أشبه لأن العرب تسمي كل من رفع صوته ووالى به غانيا وفعله ذلك غناء وان لم يلحنه بتلحين الغناء قال وعلى هذا فسره الصحابي وهو أعلم بالمقال واقعد بالحال وقد احتج أبو الحسن بن بطال لمذهب الشافعي فقال وقد رفع الأشكال في هذه المسألة ما رواه ابن ابي شيبة قال حدثنا زيد بن الحباب قال حدثنا موسى ابن علي بن رباح عن ابيه عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ تعلموا القرآن وغنوا به وا كتبوه فوالذي نفسي بيده لهو اشد تفصيا من المخاض من العقل قال علماؤنا وهذا الحديث وإن صح سنده فيرده ما يعلم على القطع والبتات من قراءة القرآن تلقياً متواترة عن كافة المشايخ جيلاً فجيلا إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ وليس فيها تلحين ولا تطريب مع كثرة المتعمقين في مخارج الحروف وفي المد والادغام والاظهار وغير ذلك من كيفية القراءات ثم ان في الترجيع والتطريب همز ما ليس بهموز ومد ما ليس بممدود فترجع الألف الواحدة إلى الفات والواو الواحدة إلى واوات فيؤدي ذلك إلى زيادة في القرآن وذلك ممنوع وان وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات والنبرة حيثما وقعت من الحروف فإنما هي همزة واحدة لا غير اما ممدودة واما مقصورة فان قيل وقد روى عبد الله بن مغفل قال قرأ رسول الله ﷺ في مسير له سورة الفتح على

راحلته فرجع في قراءته وذكر البخاري وقال في صفة الترجيع آه آه آه ثلاث مرات قلنا ذلك محمول على اشباع المد في موضعه ويحتمل أن يكون حكاية صوته عند هز الراحلة كما يعترى رافع صوته اذا كان راكباً من انضغاط صوته وتقطيعه لاجل هز المركوب واذا احتمل هذا فلا حجة فيه وقد خرج أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من حديث قتادة عن عبد الرحمن بن ابي بكر عن أبيه قال كانت قراءه رسول الله ﷺ المد ليس فيها ترجيع وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله ﷺ مؤذن يطرب فقال رسول الله ﷺ ان الأذان سهل سمح فاذا كان أذانك سمحاً سهلاً وإلا فلا تؤذن أخرجه الدارقطني في سننه فاذا كان النبي ﷺ قد منع ذلك في الاذان فاحرى الا يجوزه في القرآن الذي حفظه الرحمن فقال وقوله الحق (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقال تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) قلت وهذا الخلاف انما هو ما لم يفهم معنى القرآن بترديد الأصوات وكثرة الترجيعات فان زاد الأمر على ذلك حتى لا يفهم معناه فذلك حرام باتفاق كما يفعل القراء بالديار المصرية الذين يقرؤون امام الملوك والجنائز ويأخذون على ذلك الاجور والجوائز ضل سعيهم وخاب عملهم فيستحلون بذلك تغيير كتاب الله ويهونون على انفسهم الاجتراء على الله

بأن يزيدوا في تنزيله ما ليس فيه جهلا بدينهم ومروقا عن سنة نبيهم ورفضا لسير الصالحين فيه من سلفهم ونزوعا إلى ما يزين لهم الشيطان من أعمالهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً فهم في غيهم يترددون ولكتاب الله يتلاعبون وإنا لله وإنا إليه راجعون لكن قد أخبر الصادق ان ذلك يكون فكان كما أخبر ﷺ ذكر الإمام الحافظ رزين وأبو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث حذيفة ان رسول الله ﷺ قال (اقرؤوا القرآن بلحون العرب وأصواتها واياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجيء بعدي قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم) اللحون جمع لحن وهو التطريب وترجيع الصوت وتحسينه بالقراءة والشعر والغناء اه . قال علماؤنا ويشبه ان يكون هذا الذي يفعله قراء زماننا بين يدي الوعاظ في المجالس من اللحون الأعجمية التي يقرءون بها ما نهى عنه رسول الله ﷺ والترجيع في القراءة ترديد الحروف كقراءة النصارى اه والترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيهاً بالثغر المرتل وهو المشبه بنور الاقحوان وهو المطلوب في قراءة القرآن قال الله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) لوسئلت ام سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ وصلاته فقالت مالكم وصلاته ثم نعتت قراءته فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا

أخرجه النسائي وأبو داود الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب اه ما نقله العلامة القرطبي اذا تأملته حق التأمل ادركت ان الأستاذ ركب في مقاله جموحاً وشن غارة شعواء على رئيس وأعضاء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ظناً منه أنه على الصراط المستقيم وهم على بنيات الطريق مع أن الأمر بالعكس وعليه فيقال ..

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا ياسعد تورد الابل

ولعل الاستاذ اذا اطلع على ما زبرناه يراجع نفسه ولا يركب متن غير الذلول والله الهادي إلى سواء السبيل .

خاتمة في ذكر فضائل القرآن وأهله قال العلامة القرطبي .

(باب) ذكر جمل من فضائل القرآن والترغيب فيه وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به . أعلم أن هذا الباب واسع كبير ألف العلماء فيه كتباً كثيرة نذكر من ذلك نكتاً تدل على فضله وما اعد الله لأهله اذا أخلصوا الطلب لوجهه وعملوا به فأول ذلك أن يستشعر المؤمن فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق كلام من ليس كمثله شيء وصفة من ليس له شبيه ولا ند فهو من نور ذاته جل وعز وان القراءة أصوات القراء ونغماتهم وهي اكسابهم التي يؤمرون بها في حال إيجابا في بعض العبادات وندباً في كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجتنبوا ويثابون عليها ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه

المسلمون أهل الحق ونطقت به الآثار ودل عليها المستفيض من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكتساب العباد على ما يأتي بيانه ولولا أنه سبحانه جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليتدبروه وليعتبروا وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته واداء حقوقه وفرائضه لضعفت ولاندكت بثقله ولتضعضعت له وانى تطيقه وهو يقول تعالى جده (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) فأين قوة القلوب من قوة الجبال ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على حمله ما شاء ان يرزقهم فضلاً منه ورحمة وأما ما جاء من الآثار في هذا الباب فأول ذلك ما اخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسالتي اعطيته افضل ما أعطى السائلين قال وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه قال هذا حديث حسن غريب . وروى أبو محمد الدارمي السمرقندي في مسنده عن عبد الله قال السبع الطوال مثل التوراة والمئون مثل الانجيل والمثاني مثل الزبور وسائر القرآن بعدُ فضل واسند عن الحارث عن علي رضي الله عنه وخرجه الترمذي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت يا رسول الله وما المخرج منها قال كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار

قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولاتلتبس الألسنة ولا تنشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الاتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا (إنا سمعنا قرآناً عجبا) من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به اجر ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك ياعور اه الحارث رماه الشعبي بالكذب وليس بشيء ولم يبن من الحارث كذب وانما نقم عليه افراطه في حب علي وتفضيله له على غيره ومن ها هنا والله اعلم كذبه الشعبي لان الشعبي يذهب الى تفضيل أبي بكر والى انه اول من اسلم قال ابو عمر بن عبد البر واظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الهمداني حدثني الحارث وكان احد الكذابين واسند ابوبكر محمد بن القاسم بن بشار بن محمد الانباري النحوي اللغوي في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ما استطعتم ان هذ القرآن هو حبل الله النور المبين والشفاء النافع عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن رد قائلوه فان الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف

ولا الفين احدكم واضعا احدى رجليه يدع أن يقرأ سورة البقرة فان الشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وان أصفر البيوت من الخير البيت الصفرُ من كتاب الله وقال ابو عبيد في غريبه عن عبد الله قال ان هذا القرآن مادبة الله فمن دخل فيه فهو آمن قال وتأويل الحديث انه يشبه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس لهم فيه خير ومنافع ثم دعاهم اليه اه يقال مأدُبة ومأدَبة فمن قال مأدُبة اراد الصنيع يصنعه الانسان فيدعو اليه الناس ومن قال مأدَبة فانه يذهب الى الادب يجعله مفعلة من الادب ويحتج بحديثه الآخر ان هذا القرآن مأدبة الله عز وجل فتعلموا من مادَبته وكان الاحمر يجعلها لغتين بمعنى واحد ولم اسمع أحداً يقول هذا غيره والتفسير الاول اعجب الي · وروى البخاري عن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه وروى مسلم عن ابي موسى قال قال رسول الله ﷺ مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو مثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر · وفي رواية مثل الفاجر بدل المنافق وقال البخاري مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به مثل الاترجة طعمها طيب وريحه طيب والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة وذكر الحديث

وذكر أبو بكر الأنباري وقد أخبرنا أحمد ابن يحيى الحلواني حدثنا يحيى ابن عبد الحميد حدثنا هشيم ح وانبأنا ادريس حدثنا خلف حدثنا هشيم عن العوام بن حويشب ان عبد الرحمن السلمي كان اذا ختم عليه الخاتم القرآن اجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال له يا هذا اتق الله فما اعرف احداً خيراً منك ان عملت بالذي علمت · وروى الدارمي عن وهب الذماري قال من آتاه الله القرآن فقام به آناء الليل وآناء النهار وعمل بما فيه ومات على الطاعة بعثه الله يوم القيامة مع السفرة والأحكام قال سعد : السفرة الملائكة والاحكام الانبياء · وروى مسلم عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران اه · التتعتع التردد في الكلام عياً وصعوبة وانما كان له اجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة ودرجات الماهر فوق ذلك كله لأنه قد كان القرآن متعتعاً عليه ثم ترقى عن ذلك الى ان شبه بالملائكة والله اعلم · وروى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف قال حديث حسن صحيح غريب من هذ الوجه وقد روي موقوفاً وروى مسلم عن عقبة بن عامر قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال ايكم يحب ان يغدو كل

يوم الى بطحان أو العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطيعة رحم فقلنا يا رسول الله كلنا نحب ذلك قال افلا يغدو احدكم الى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير من ناقتين وثلاث خير له من ثلاث وأربع خير له من أربع ومن اعدادهن من الابل — وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عليه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه · وروى أبو داود والنسائي والدارمي والترمذي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة قال الترمذي حديث حسن غريب · وروى الترمذي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال يجيء صاحب القرآن يوم القيامة فيقول يارب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يارب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يارب ارض عنه فيرضى عنه فيقول له إقرأ وأرق ويزاد لكل آية حسنة قال الحديث

صحيح . وروى أبو داود عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ يقال لصاحب القرآن إقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها وأخرجه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ (يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة إقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه) وأسند أبو بكر الأنباري عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ من أعطي ثلث القرآن فقد أعطى ثلث النبوة ومن أعطي ثلثي القرآن فقد أعطي ثلثي النبوة ومن قرأ القرآن كله فقد أعطي النبوة كلها غير أنه لا يوحى إليه ويقال له يوم القيامة إقرأ وارق فيقرأ آية ويصعد درجة حتى ينجز ما معه من القرآن ثم يقال اقبض فيقبض ثم يقال له أتدري ما في يديك فإذا في يده اليمنى الخلد وفي اليسرى النعيم) حدثنا ادريس بن خلف حدثنا اسماعيل بن عياش عن تمام عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ من أخذ ثلث القرآن وعمل به فقد أخذ أمر ثلث النبوة ومن أخذ نصف القرآن وعمل به فقد اخذ أمر نصف النبوة ومن أخذ القرآن كله فقد أخذ النبوة كلها . قال وحدثنا محمد بن يحيى المروزي انبأنا محمد وهو ابن سعدان حدثنا الحسين بن محمد عن حفص عن كثير بن زاذان عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (من قرأ القرآن وتلاه وحفظه أدخله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كل قد وجبت له

النار) وقالت أم الدرداء دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها ما فضل من قرأ القرآن على من لم يقرأه ممن دخل الجنة فقالت عائشة رضي الله عنها إن عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فليس أحد دخل الجنة أفضل ممن قرأ القرآن) ذكره أبو محمد مكي . وقال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك بأن الله تبارك وتعالى يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس فضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ذكره مكي أيضاً . وقال الليث يقال ما الرحمة إلى احد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقول الله جل ذكره (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون) ولعل من الله واجبة وفي مسند أبي داود الطيالسي وهو أول مسند ألف في الإسلام عن عبد الله ابن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين) والآثار في معنى هذا الباب كثيرة وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق للهداية اه . وفي التبيان للإمام النووي وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين) رواه مسلم . وعن أبي امامه الباهلي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إقرءوا

القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه) رواه مسلم . وعن بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار رواه البخاري ومسلم . وروينا أيضاً من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظه (لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه الله على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم (ان الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح اه .

(أقول) إذا كان المطلوب من القارئ الترتيل والتمهل في قراءته ليتدبر معنى مايقرؤه فكيف يرتل ويتدبر من يختم القرآن في اليوم والليل ثمان ختمات أو يختم بين المغرب والعشاء ختمة وبين الظهر والعصر ختمة بل هذا مما تستبعده عقولنا وان كان ذلك نقل الثقات عن العدول ولله خرق العادات قال العلامة النووي في كتابه المذكور وختم بعضهم ثمان ختمات أربعاً بالليل وأربعاً بالنهار فمن الذين كانوا يختمون ختمة في الليل واليوم عثمان بن عفان رضي الله عنه وتميم الداري وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي وآخرون ومن الذين كانوا يختمون ثلاث ختمات سليم ابن عمر رضي الله عنه قاضي مصر في خلافة معاوية رضي الله عنه وروي

أن أبا بكر بن داود أنه كان يختم في الليلة أربع ختمات قال الشيخ الصالح أبو عبد الرحمن السلمي رضي الله عنه سمعت الشيخ أبا عثمان المغربي يقول كان ابن الكاتب رضي عنه يختم بالنهار أربع ختمات وبالليل أربع ختمات وهذا اكثر ما بلغنا من اليوم والليلة وروى السيد الجليل أحمد الدورقي عن منصور بن زاذان من عباد التابعين رضي الله عنه آنه كان يختم القرآن فيما بين الظهر والعصر ويختمه أيضاً فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلى أن يمضي ربع الليل وروى أبو داود بإسناده الصحيح أن مجاهداً كان يختم القرآن فيما بين المغرب والعشاء . وعن منصور قال كان علي الأزدي يختم فيما بين المغرب والعشاء في كل ليلة من رمضان . وعن ابراهيم بن سعد قال كان أبي يحتبي فما يحل حبوته حتى يختم القرآن واما الذي يختم في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فمن المتقدمين عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير اه باختصار .

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي له وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان وسلم .

وكان الفراغ مماسطرته ضحوة يوم الاثنين

سابع جمادى الثانية من سنة ١٣٥٨